مقدمة

عندما يقرأ القارئ هذه الوثيقة المهمة، وخصوصاً القارئ من الإخوان المسلمين أو من ذي الخلفية الاسلامية، سيقف عند بعض الوقائع أو الأحداث التي تعبر عن رؤية الكاتب الكريم الأستاذ هيثم أبو خليل بشأن ظهور التيار الاصلاحي داخل حركة الإخوان المسلمين، وقد أصبح اليوم بعض أهم أعضائه خارج الحركة. قد يظن القارئ عند النظر إلى عنوان الكتاب أو عند تصفح صفحاته الأولى، وعند الاطلاع على اسم الكاتب، أن الكتاب نقد لحركة الإخوان أو لتشويه السمعة، وهذا الفهم الضيق إساءة إلى الحركة، وسوء فهم للنقد الموضوعي. فالدين النصيحة كما قال صلى الله عليه وسلم.

كما يحدث للأسف الشديد عند قراءة كتابات بعض من يستقيلوا أو يفصلوا من تنظيم ما وخصوصاً الإخوان المسلمين لغط كثير، واخطاء فاحشة، بل وسلوك شاذ، لا يتفق مع قيم الاسلام ولا مفاهيم ومبادئ الدعوة العظيمة. إن مبدأ السمع والطاعة مبدأ عظيم، ولكنه يحتاج إلى ثقة كبيرة بين الأفراد (الجنود) والقيادة، كما يحتاج إلى طاعة مبصرة، وإنفتاح كبير في عصر الحريات، وخصوصاً بعد الثورة العظيمة وتطبيق للمبادئ التي نطالب غيرها بالالتزام بها، حتى تكون حركة الحركة والأعضاء، بحق فينطبق عليهم الشعار العظيم، رهباناً بالليل وفرساناً بالنهار وحتى تكثر الحركة عند المغرم وتقل عند المغنم.

هذه الوثيقة الغالية بها إضاءات وإيضاحات وشئ من تاريخ معاصر، من أخ عاصر الأحداث وشارك فيها مشاركة فعالة، وهو يروي ما رآه نافعاً لمصر وللحركة في إطار الاسلام العظيم.

إن صدور هذا الكتاب في وقت يحكم فيه الإخوان المسلمون مصر بعد الثورة الشعبية العظيمة وفق إختيار حر وبإرادة شعبية لأول مرة في تاريخ مصر منذ الاحتلال البريطاني، رغم وجود حياة ديموقراطية سابقة على ثورة يوليو ووجود نظام بريطاني ودستور، ولكن الحياة الديموقراطية تحتهما والأحزاب السياسية كانت كلها تدور تحت الاحتلال وفي ظله.

الوقائع التي تحدث عنها الكاتب وأوردها في ثنايا كتابه الجميل: إخوان إصلاحيون، هى رؤيته الدقيقة لتلك الوقائع والأحداث.

الإخوان الاصلاحيون كان لهم دور مهم جداً، في مراقبتهم لمسيرة الدعوة وخوفهم عليها من التشدد أو التطرف أو ما سماه البعض "تسلف الاخوان المسلمين" ودعوتهم للاصلاح دعوة تستحق التقدير. كان الاصلاحيون ولا يزالون يسعون إلى تحقيق الوسطية في الفهم والمحافظة على تلك الوسطية. فكان من ضمن ذلك السعي لتصحيح وجهة نظر حركة الإخوان من المرأة والأقباط. تلك النظرة الفقهية الضيقة التي ظهرت في برنامج الحزب سنة ٢٠٠٧. ولا تزال تلك النظرة من الناحية الفقهية في الإخوان محل حوار ونقاش. إن المرأة والرجل هما جناحان لا تطير الأمة بأحدهما دون الآخر. وكم ساهمت المرأة في حدود وإطار الشريعة إسهامات عظيمة حتى أن بعض شيوخ السلف الصالح والتابعين كانوا يتعلمون على أيدي بعض النساء المتفقهات.

أما مشكلة فهم الإخوان لموضوع الأقباط فهى مشكلة تحتاج إلى مراجعة وتأكيد في الدستور بأنه لا توجد فروق بين البشر بسبب العقيدة، وأن مبدأ

المواطنة يجب أن يحفظ الحقوق بالتساوي الكامل في إطار هذا المبدأ. وأن أولئك الذين يعتبرون مصر ولاية عظمى، والبحرين ولاية عظمى، وقطر ولاية عظمى، يجب أن يراجعوا أنفسهم لأن الأمة هي الولاية العظمى. ولا يعقل أن نفهم أن السودان كانت ولاية عظمى، فلما إنقسمت أصبحت ولايتين عظمتين. الولاية العظمى تكون مثل الولايات المتحدة الأمريكية تقريباً للمفهوم، إذ أن الراكب يطير بالطائرة ٦ ساعات من بوسطن شرقاً إلى كاليفورنيا "لوس أنجلوس" غرباً. هذه المساحة الجغرافية يمكن أن تكون ولاية عظمى أما الطائرة من البحرين إلى قطر فستستغرق ١٥ دقيقة ولا يمكن أن تكون هذه ولاية عظمى، بل هي أقاليم ضمن إتفاقية سايكس بيكو في ولاية عظمى كبيرة إسمها الأمة الاسلامية وهي في إنتظار التحقق. التيار الاصلاحي يسعى حالياً لإقامة جمعية أو أكثر وربما حزب سياسي للاهتمام بالدعوة وإبراز وسطيتها، إما بالعمل الدعوي أو العمل السياسي فالاصلاحيون يفهمون الاسلام بشموله ووسطيته وربانيته وعالميته. نتمنى للتيار الاصلاحي كل خير ونتمنى له دوراً بارزاً فالتعددية القائمة في العمل والتنافس في الخير مما حث عليه القرآن وحبذته السنة، طالما كان الحفاظ على المرجعية والتمسك بها وخصوصاً في إطار الأصول العشرين للفهم التي حددها الامام البنا رحمه الله تعالى في رسالته المهمة رسالة التعاليم.

<u>ومن أجمل ما كتب الامام البنا في مقدمة رسالة المؤتمر الخامس ما يلي:</u>

أيها الإخوان:

كنت أود أن نظل دائما نعمل ولا نتكلم، وأن نكل للأعمال وحدها الحديث عن الإخوان وخطوات الإخوان، وكنت أحب أن تتصل خطواتكم اللاحقة

بخطواتكم السابقة في هدوء وسكون من غير هذا الفاصل الذي نحدد به جهاد عشر سنوات مضت لنستأنف مرحلة أخرى من مراحل الجهاد الدائب في سبيل تحقيق فكرتنا السامية.

ولكنكم أردتم هذا، وأحببتم أن تسعدونا بهذا الاجتماع الشامل فشكرا لكم، ولا بأس أن ننتهز هذه الفرصة الكريمة فنستعرض نتائجنا، ونراجع فهرس أعمالنا، ونستوثق من مراحل طريقنا ونحدد الغاية والوسيلة فتتضح الفكرة المبهمة، وتصحح النظرة الخاطئة، وتعلم الخطوة المجهولة، وتتم الحلقة المفقودة، ويعرف الناس الإخوان المسلمين على حقيقة دعوتهم، من غير لبس ولا غموض.

لا بأس بهذا، ولا بأس بأن يتقدم إلينا من وصلته هذه الدعوة ومن سمع أو قرا هذا البيان، برأيه في غايتنا ووسيلتنا وخطواتنا فنأخذ الصالح من رأيه، وننزل على الحق من مشورته، فإن الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

إن رسائل الامام البنا بمفاهيمها الاسلامية الوسطية الواسعة دون إخلال بالمبنى أو المعنى، وبمشروعها الانقاذي للأمة، والربط الجميل بين المفاهيم والقيم الوطنية والقومية والاسلامية، حتى يصل العرب والمسلمون إلى أستاذية العالم في القيم والأخلاق فترتبط القوة بالرحمة على سبيل المثال لا الحصر، هى رسائل تصلح للأمة كلها، وليست فقط للإخوان المسلمين، إلا لكي يكونوا هم ومن يقتنع بها في مقدمة حملتها وطليعتها والشارحين لها والنموذج الحي على امكانية التحقيق. والنموذج الذي يعكس تلك المفاهيم العظيمة، التي لفتت نظر أولئك الذين إتصلوا بي من خارج الاطار الاسلامي التنظيمي، الذي أنا خارجه الآن كذلك بعد الاستقالة. ولكنني لست خارج

إطار الدعوة الواسع ولا المشروع الذي نادى به الامام البنا رحمه الله تعالى.

الميزة التي ميزت الامام البنا تتمثل في مجموعة من القيم والمبادئ أهمها، أنه أحب مصر فكان وطنياً من الطراز الأول، وأحب العروبة فكان قومياً بامتياز، وأحب الأمة الاسلامية كلها فإستحق بذلك حب الأمة له وإنتشار مشروعه، حيث جمع بين الأفكار والمشروعات الوطنية والقومية والاسلامية ووضعها في سلة واحدة، بل كان يرى بأفقه الواسع، وإخلاصه العميق، إمكانية إعادة التاريخ العظيم للأمة في ثوب عصري فيجمع بين الأصالة والعصرية. يقول الامام البنا في رسالة: إلى أي شئ ندعو الناس "إن الفكرة الوطنية صارت حرزاً هاماً واضحاً في الفكرة الاسلامية" ثم يقول "إن الذين يظنون أن الاسلام يهدم الوطنيات مخطئون، لأنه (أي الاسلام) يفترض على أبنائه حماية أرضهم".

ويقول الامام البنا في رسالة: دعوتنا "ونحب مع هذا أن يعلم قومنا- وكل المسلمين قومنا -أن دعوة الإخوان المسلمين، دعوة بريئة نزيهة، قد تسامت في نزاهتها حتى جاوزت المطامع الشخصية، واحتقرت المنافع المادية وخلفت وراءها الأهواء والأغراض".

وفي رسالة: دعوتنا، كذلك يقول الامام البنا "ونحب كذلك أن يعلم قومنا أنهم أحب إلينا من أنفسنا، وأنه حبيب إلى هذه النفوس أن تذهب فداء لعزتهم إن كان فيها الفداء، وأن تزهق ثمنا لمجدهم وكرامتهم ودينهم وآمالهم إن كان فيها الغناء".

والوطنية في فكر الامام البنا رحمه الله تعالى كما في رسالة دعوتنا "هي وطنية الحنين أي حب هذه الأرض والحنين إليها والانعطاف نحوها، ووطنية الحرية والعزة بما يؤكد العمل بكل جهد لتحرير البلد من الغاصبين، وتوفير

استقلاله وغرس مبادئ العزة والحرية في نفوس أبنائه، وهى وطنية المجتمع بتقوية الرابطة بين أبناء القطر الواحد، وهى وطنية الفتح، وليست وطنية الحزبية وتقسيم الأمة إلى طوائف تتناحر وتتضاغن وتتراشق بالسباب وتترامى بالتهم، ويكيد بعضها لبعض.

وأما القومية في مفهوم الامام البنا رحمه الله تعالى فهى كما يقول في رسالة دعوتنا هى قومية مراقي المجد والعظمة ومدارك النبوغ والهمة، وأن عشيرة الرجل وأمته اولى الناس بخيره وبره وأحقهم بإحسانه وجهاده" . ويرى الامام البنا أن القومية الجميلة ليست قومية الجاهلية بإحياء عادات جاهلية درست، وإقامة ذكريات بائدة خلت، وليست قومية العدوان، ولا الاعتزاز بالجنس لدرجة انتقاص الأجناس الأخرى والعدوان عليها، ثم يقول "إن العروبة لها النصيب الأوفى والأوفر من الفضيلة والخلق وعليها أن تتخذ ذلك وسيلة للنهوض بالإنسانية" .

ما أجمل أن يجمع الامام البنا بين الروح الوطنية والروح القومية والروح الاسلامية في مشروع عظيم واحد، وما أقبح أن يفرق بعض الاسلاميين والمتعصبون من شتى الوجوه بين هذه المفاهيم الثلاثة. إن مشروع الاسلام الوسطي هو مشروع لا يخالف الوطنية الحق ولا القومية الصواب، ونتمنى للتيار الإصلاحي الحركي كل نجاح وتوفيق، وللكاتب العزيز كل تقدير لما كتبه وقدره ولما أصاب فيه. والله الموفق.

د.كمال الهلباوي

القاهرة، ٢٠١٢/٩/١٣